من رواية :
مسالك أبواب الحديد
واسيني الأعرج

المقدمة :

كتاب الأمير

مسالك أبواب الحديد

كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد) ،أول رواية عن
الأمير عبد القادر .

المغامرة من هذه الناحية تستحق كل الإهتمام لأنها تلغي الحافات ،حافة التاريخ وحافة المتخيل .فهي لا تقول التاريخ لأنه ليس هاجسها ،ولا تتقصى الأحداث والوقائع لاختبارها ،فليس ذلك من مهامها الأساسية. تستند فقط على المادة التاريخية وتدفع بها إلى قول ما لا يستطيع التاريخ قوله :الإستماع إلى أنين الناس وأفراحهم وانكستراتهم ،إلى اندفاعات الأمير وهو يحتج على والده الذي أعدم بدون استشارته قاضي آرزيو ، إلى غليانات بوجو لأن الأمير تركه ينتظر على حافة التافنة،إلى وقع خطو مونسنيور ديبوش ،قس الجزائر الكبير ،وهو يركض بين غرفة الشعب بباريس وبيته للدفاع عن الأمير السجين بأمبواز Amboise ولا يرتاح إلا عندما يراه يركب سفينة لابرادور Labrador متجها إلى القسطنطينية بتركيا .

رواية الأمير

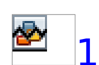
فوق كل هذا ،درس في حوار الحضارات ومحاورة كبيرة بين المسيحية والإسلام ،بين الأمير من جهة ومونسنيور ديبوش ونابليون الثالث من جهة ثانية ،التي تفضي إلى إعادة تشكيل وعي كل الذين انغمسوا في حروب القرن التاسع .حروب وجد الأمير فيها نفسه على حافة قرن ينسحب بكل أشواقه وهزائمة ومفاخر كان السيف سيدها وقرن جديد كانت فيه الآلة والبارود هما سيدا الحروب والتطور.

الكاتب :

واسيني الأعرج جامعي وروائي يشغل اليوم منصب أستاذ كرسي بجامعتي الجزائر المركزية والسوربون بباريس .يعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي .يكتب بالغتين العربية والفرنسية .

الوقفة الرابعة

مسالك الخيبة .

1

قطعت العربة نهر اللوار عابرة الجسر الصغير المؤدي إلى قصر أمبواز قبل أت تتوقف نهائيا بمحاذاة كنيسة سانت _هيبار.

كعادته ،كلما زار مونسينيور ديبوش قصر أمبواز ،مر أولا نحو كنيسة سانت - هيبار ليقف قليلا على قبر ليوناردو فانشي ، عند الهندسة القوطية المركبة والخشنة المسننة قبل أن يتأمل الصفاء الحميمي الذي ينام فيه دو فانشي مستمتعا بالنور الهاديء الذي يتسرب من زجاج النوافذ الملونة والمعشقة بمختلف القطع التي تعكس النور مثل الشلالات الضوئية . مشى مونسينيور خطوات وهو يتحسس أوراقه . الملف الذي بين يديه كبير ومرتبك .الخمسون سنة لم تتعبه لكن مظهر السنوات يبدو واضحا على محياه وكأنه عاش أكثر من سنّه .لحيته المنطلقة حتى صدره وشعره المخفف كثيرا على الأطراف ورشمات الشيب التي تبدو واضحة هنا وهناك ولباسه الفضفاض الذي يشبه لباس الكهنة وصليبه الكبير الذي لا يغادر صدره والخاتم الخشنة التي تملأ جزءا من سبابته ،تعطيه أكثر من

سنّة المعتاد . لا يفتأ كلما تحدث ،أن يترك كفه اليمنى تنزلق بين شعر لحيته الكثيفة ، كمن يتسلى بشيء في يده ويتركه ينفلت بين أصابعه كحبات الرمل .

الليلة بكاملها أمضاها وهو يحاول أن يفك تناقضهاتها ولم يستطع . وقف عند باب قصر أمبواز وكأنه يكتشفه للمرة الأولى . بدت له بناياته كبيرة ولكنها خالية من الحميمية. وفي رأسه أسئلة كثيرة كان يحضر نفسه لطرحها على الأمير .لم يخطيء أبدا في الحكم على شخصيتين : دوميشال والأمير . البارحة لم ينم جيدا فقد استعصت عليه الكلمات في الرسالة هو الذي لم يحفل كثيرا بالدنيا حلماه الأساسيان هو أن ينقذ الأمير أولا ، وأن يجد ثانيا روحا سخية تقبل بتنفيذ وصيته . الحلم الثاني يمكنه أن ينتظر قليلا .

رآه الحارس .عرفه . فقد تعود على وجهه البشوش دوما والذي يشرق نورا على الرغم من التهام اللحية الطويلة لجزء كبير منه .

_ صباح الخير مونسينيور . ألم تتعب من الجري . لو كان كل القساوسة مثلك يا مونسينيور لتغير وجه الدنيا نحو الأحسن .

_ متعة أن يركض الإنسان من أجل شيء هو على يقين أنه حق بيّن .

_ طيب الأمير في انتظاركم . دعني أخبره بمجيئكم . هذا اليوم استقبل قادة كثيرين . يبدو أن وضعية البلاد المعقدة انعكست عليه وعلى نفسيته . ومع ذلك فهو يناقش بشكل جيد ولا ينزعج كثيرا من ردود أفعال الناس ونقدهم . هو الآن يصلي . بمجرد الإنتهاء سأنبهك . يمكن انتظاره في القاعة الكبيرة . قهوة كالعادة ؟

_ مع هذا البرد لا أطلب أكثر من ذلك .

عندما شرب الرشفة الأولى شعر بالحرارة تسري في الأعماق وتخط طريقا تحسس مسالكه . نظر من وراء الزجاج ، بان القصر على كل اتساعه ، تسرب قليل من النور لتظهر جليا الركائز والأقواس التي لم تكن تبدو إلا كظلال وأشباح متوازية وثابتة . عندما انتهى من الصلاة وضع الأمير الزريبة على الأريكة وخرج عند المدخل حيث صالة الزوار لاستقبال ضيفه . قال مازحا ، محتضنا

مونسينيور ديبوش:

_ مونسينيور ، جيد أنهم يتركوننا نصلي على الأقل وإلا لتحول هذا القصر إلى محشرة . أعتقد أن الصلاة لا تؤذي أحدا . فهي ليست بيننا وبينهم ولكنه بيننا وبين خالقنا .

_ لا أعتقد أننا وصلنا إلى هذا الحد أيها السلطان الكريم وإلا لن نتحدث عن كائن اسمه الإنسان . الإنسانية يا سيدي عبد القادر ، استحقاق وليست إرثا سهلا .

_ معك حق . الإستحقاق يحتاج إلى مجهودات دائمة للوصول إلى تحقيقه . ديننا يقول ذلك كذلك . يقضي الإنسان العمر كله بحثا عن تأكيد إنسانيته لأن كل ما يحيطه هو عبارة عن مزالق متعددة ، عليه تفاديها بشهامة وعزة نفس .

رد الأمير وهو يجلس بجوار مونسينيور الذي حاول أن يخفف عليه وهن العزلة ، والخيبات المؤلمة . فقط فهم جيدا مراميه:

_ أيها السلطان ، أنت محظوظ كثيرا في هذا القصر .، ترتاح قرب أكبر فنان عظيم أنجبته البشرية : ليوناردوفانشي . ربما هوّن هذا قليلا من حزنك .

_ الوضع مختلف يا مونسينيور . هو على الأقل جاء بخياره ، بدعوة من الملك ليواصل رسوماته واكتشافاته على راحته ورد الخير للذين منحوه له بأن سلمهم لوحته الكبيرة : موناليزا . مونسينيور ، أنت تعرف أن الظلم يبعد عنا رؤية الشياء الجميلة ويقربنا من الخوف والظلام والسود .كلما انزويت وفتحت النافذة نحو الجهة الأخرى من القصر ، ولا أفتحها إلا نادرا ، رأيت الشرفات التي علق عليها أتباع البارون كاستلنو البروتستانت، الذي سلم نفسه للكاثوليك وللملك ولكنه لم يسلم هو بدوره من قطع رأسه . الناس يقفون في مواجهة الشرفات لا يتذكرون حماقة الحكام ولكنهم يستمتعون بأدوات سياحية ، هي في العمق ، أناس تركوا وراءهم حياتهم وأولادهم وذويهم واندثروا . لا ألوم أحدا لدينا ما هو أسوأ في تاريخنا الإسلامي . معظم خلفائنا مروا على النصل ، قتلوا من ذويهم ، كبار علمائنا أحرقوا وابن المقفع شوى حيا ، الحلاج مزق قطعة قطعة ، ابن رشد كاد أن يحرق مع كتبه لولا ضربات الحظ ، ابن عربي اتهمه الجهلة بالمروق وغيرهم . للأديان ، مونسينيور ، أوجه أخرى مظلمة جدا ، ولكني أقول حبذا لو يتعظ الإنسان وهو يرى هذه الجروح ويحس وقعها . قليلا ما أفتح هذه النوافذ لأنها ترميني نحو تواريخ هي من القساوة بحيث يصعب علي تحملها . أفضل أن أبقى أنا وذوي في هذه الدائرة لكي لا نشعر بأن هناك خارجا هو أحيانا أسوأ مما نحن فيه.

_ قصة الشرفات معقدة أيها السلطان ، نجمت عنها كوارث لم توقفها سيول الدماء وكأن قدر البشرية أن تدمى نفسها لكي تدرك بعد نصف قرن أو أكثر أنها أخطأت . اليقين بامتلاك الحقيقة يعمي صاحبه ، ويقوده

نحو الهلاك .

_ مونسينيور ، أدرك جيدا أن هذا النهر العظيم الذي يواجهنا اليوم لو استطاع أن يتكلم لصرخ بأعلى صوته . الماريشال فيافيل يقص ذلك في مذكراته بالتفصيل كما ترجمها لي براسوني الطيب الذي آخذ من وقته الكثير . يذكر أن الدم كان يملأ شوارع المدينة . الزبانية المكلفون بقطع الرؤوس والشنق ، الذين أتوا بهم من كل مكان لأداء هذه المهمة ، لم يكونوا كافين . بدون محاكمة ، كان الرجال يرمون مكتفي الأيدي والأرجل حتى امتلأ نهر اللوار بالجثث التي بقيت هناك حتى تعفنت وهجّرت الملك وحاشيته من القصر . منذ ذلك اليوم اندلعت الحروب الدينية التي دامت أكثر من أربعين سنة . هكذا البشر مونسينيور ، لا يعرفون أن الله الذي منح الروح وقدسها ، لا يمكن مسها إلا بالحق . أية قضية تساوي حياة إنسان وعزته ؟ في كل الأديان شيء من التطرف يؤدي إلى هلاكها .

اندهش مونسينيور من ملاحظات الأمير الدقيقة . الأمير يختار الكتب التي تقرأ له بدقة متناهية . يتداول عليه كل من صهره ابن التهامي وبواسوني الذي لا يغادره إلا قليل ، فقط وضع نفسه هو عائلته رهن الأمير .

_ كلامك صحيح تماما ودقيق جدا .

_ كنت أقاتل ليس فقط الفرنسيين ولكني كنت أقاتل حالة العمى التي كانت تصيب بعض خلفائي فيظنون أنهم ملاك الحقيقة فيكفرون ويقتلون من يشتهون . صحيح أن الحروب هذه هي ، ولكن يمكننا أن نحد من جرائمها وانزلاقها حتى عندما تكون هذه الأخيرة عادلة في عمقها ، أو على الأقل لها ما يبررها .

_ الحديث معك شيق ، ولكني هذه المرة جئتك وفي رأسي ما يتعبك فعلا . أسئلتي كثرت هذه الأيام ولكن على الأقل نيتي في الدفاع عن الحق مخلصة . عرفنا بعضنا البعض في أكثر الظروف حساسية يوم تبادلنا الأسرى . لم أرك ولكن من رسائلك عرفت أنني كنت أمام رجل كبير لم يفهمه الفرنسيون والعرب معا . البارحة قضيت الليلة بكاملها أعصر دماغي ووثائقي عبثا ولم أجد جوابا مقنعا لقصة النسخة الخفية من معاهدة دوميشال فهمت من الوثائق التي بحوزتي ، أن نسخة ثانية خبئت عن المسؤولين الفرنسيين . أنا لم أفهم كيف يمكن لإنسان ائتمن على منطقة بكاملها أن يفعل ذلك . لقد نفى ذلك وبعض أتباعه يتهمون التجار اليهود بأنهم كانوا وراء هذه النسخة لتسهيل تجارتهم في الأسلحة والقمح والبارود مع مضيق طارق والإنجليز وحتى مع بعض الموانيء الفرنسية . أنت تعرف أنهم سادة التجارة والحيلة .
_ أعرف جيدا ما ترمي إليه . ابن دوران كان يتحرك باسمي ويستشيرني في الصغيرة والكبيرة . التهمة من هذه الناحية غير مبررة وأتحمل مسؤولية كل ما حدث . صحيح أنه عندما منع من تسويق الحبوب ، أظهر

ورقة رسمية باسمي ، تسمح له بالتعامل التجاري في ميناء وهران . وصل الأمر إلى حاكم الجزائر فكبر الأمر وجعل منه قضية معقدة مع أني شرحت في رسائل عدة حسن المقصد . وتم تعويض دوميشال بتريزل رئيس قيادة الأركان وقتها . يبدو لي أن المسألة في عمقها كانت أكبر من هذه الأشياء الصغيرة . الصراعات بين الضباط الإستيطانيين الفرنسيين والذين يبحثون فقط عن الساحل لتأمين تجارتهم كانت على أشدها . الفوضى كانت أولا في أذهان القادة وربما حتى ملك فرنسا :ماذا يفعلون بهذه الممتلكات التي اكتشفوا فجأة أنها ليست صحراء قاحلة لا شيء فيها إلا البحر .دوميشال ذهب ضحية سياسة مهادنة . كان طيبا وإنسانيا في عمقه .

_ عظيم أن تتكلم عن خصمك بهذه الطريقة . لم يشك دوميشال في نزاهتك أبدا ولكنه يضيف في دفاعه أن الورقة المقدمة من طرف بن دوران ليست إلا وثيقة مزورة .

_ الأمور كانت واضحة بالنسبة لنا والأدلة واضحة . عندما اتصل بي الحاكم العام الجنرال دروي ديرلون أكدت له على صدق النوايا .هناك شهود منا ومنهم ، ابن دوران والكابتن دوسان_ هيبوليت المكلف من طرف الحاكم للتأكد بالعين المجردة من صحة الأختام والوثيقة وعاد لقادته بنفس التأكيدات . تأسفت على الجنروال دوميشال وما كان يحدث له . الأمر كان يخص فرنسا وحدها ولم يكن لدي جق في التدخل . عندما شعرت بالرغبة في نكث العهود ، بعثت برسالة إلى الحاكم العام وقلت له بالحرف

أعرف قواعد المملكة الفرنسية وأعرف كذلك أنه إذا كان الفرنسيون أقوى من أمم أخرى فلأنهم لا يخالفون عهودهم . من هنا من الصعب تدمير معاهدة وقعتها شخصية كانت تملك كل الصلاحيات ومعروفة من طرف الجميع .
مد مونسينيور ديبوش يده عميقا في زرادته الجلدية التي تصحبه دائما وأخرج منها قصاصة صحفية مطوية عدة طيات ثم التفت من جديد نحو الأمير .

_ على ذكر الكابتن دو سانت _ هيبوليت هل تعرف ماذا قال فيك بعد أن أكد على صدق كلامك . أقرأ على مسمعك ما كتبه عنك :

الأمير رجل مدهش . هو في وضعية أخلاقية لا نعرفها جيدا في أوروبا . رجل زاهد في شؤون الدنيا ويظن أنه موكل من طرف الله بمهمة حماية رعاياه . حلمه ليس الحصول على مجد و الهدف الشخصي ليس من مهامه وحب المال لا يعنيه أبدا . ليس ملتصقا بالأرض إلا وفق ما يمليه عليه الله فهو أداته .

******

****

**
*

الوقفة الرابعة
مسالك الخيبة
_ 5_
.
.
.
.

عندما اقتحمت أولى طلائع كلوزيل المدينة الخالية من السكان يتقدمها الزواف بسيوفهم وبنادقهم الطويلة ، كانت معسكر قد أخليت عن آخرها حتى من قططها وكلابها التي اعتادت أن تملأ شوارعها في أوقات القيلولة صيفا أو الزوايا والأماكن الخالية شتاء. احتلت الفيالق الأولى البيوتات التي بقيتواقفة أو بها بعض الأغطية لتفادي قسوة البرد والأمطار والثلوج التي كانت تخترق العظام كالإبر . لاحظ الجنرال كلوزل وضباطه الحالة التي كانت توجد عليها المدينة فحاولا أن يرتبوا أمورهم في انتظار الصباح الذي لم تبق له إلا بعض الساعات .

في الفجر الأول عندما استيقظ القبطان شونقارنييه بعد اغفاءة خفيفة ، وبدأ يعبر الشوارع التي كستها أغلفة بيضاء من المطر ، اكتشف فجأة أمامه مدينة منكسرة عن آخرها . أهم ما بقي فيها واقفا ، مسجدها الموريسكي الذي قضت فيه إحدى كتائبه ليلتها الأولى في المدينة الخالية ، والبيوتات الأندلسية القديمة التي نجت من النار إذ بقيت بزرابيها ولم يتجرأ أحد على نهبها أو إخلائها من أغطيتها . واكتشف ما دمرته فلول الزواف الذين كانوا أول من دخل المدينة من ناحية المقبرة ، فكسرت كل المنحوتات الرخامية ذات الأحجام المتنوعة الكثيرة التي على الشواهد أو على القبور . لكن الذي ظل يشغل شونقارنييه هو الأسوار الخشنة التي ظلت واقفة وتحمي المدينة من الهجمات الممكنة . طلب من عساكره أن توجه صوبها المدافع التي جرها من ورائه في زحفه على المدينة ثم ركز ضرباته الأولى على مواطن قوتها لتنهار نهائيا في جهاتها الأكثر صلابة والتي تنهض بها أربع قلاع عالية للدفاع عن المدينة .لاحظ أن الأمير أخذ ما استطاع حمله على الجمال من مصانع الأسلحة وما تركه وراءه أحرقه بحيث أنه لم يعد صالحا . كانت المصانع في بداية عطائها وعلى الرغم من كونها لم تكن تنتج إلا بارودا أخضر ، يشتعل بصعوبة كانت النتيجة مهمة بالنسبة للأمير لأن عمليات تحسين البارود كانت قد بدأت بمساعدة

الخبراء الإيطاليين والأمان الذين كانوا قد وضعوا أنفسهم في خدمة المصانع الأميرية .

عندما فوجيء شونقارنييه بآخر الكلاب الضالة يخرج من تحت اللآلات المحروقة بصعوبة إذ لم يكن قادرا على الهرب من كثرة الجوع ، لم يتساءل كثيرا ، أخرج مسدسه وأطلق عليه النار بكل برود دم . عندما رآهم يتحركون في البداية لم يتحرك الكلب من مكانه . فقد بقي ثابتا كالحجرة وكأن الأمر لم يكن يعنيه لا من قريب ولا من بعيد . ظل يتأمل شونقارنييه بعينين مدورتين فارغتين من أي قلق . حتى عندما اخترقته الرصاصتان ، لوى رأسه وتدحرج بهدوء بدون أن يعوي أو يردح قليلا .

_ الكلاب الضالة تنقل الأمراض . التخلص منها ضرورة .

قال شونقارنييه وهو يعيد مسدسه إلى غمده .

ثم أمرتوقد النار في البيوتات الأندلسية التي ظلت واقفة والمسجد القديم ودار الباي التي بقيت على حالها ولم يأخذ منها الأمير أي شيء والأسواق الكبيرة التي بقيت واقفة وانسحب بعيدا يتأملها مع مجموعة من مساعديه . ثم نزل باتجاه سوق الذهب . لم يجد إلا عددا ضئيلا من العائلات اليهودية وبعض مسلمين من أصل أندلسي . أمر بالتوغل داخل البيوتات الواطئة والاستيلاء على الذهب . حاول مردوخ الذي كسا كل عرائس معسكر وضواحيها أيام عرسهم أن يقاوم ولكنه جرح في يده ، فنزعت منه المدراة التي كان يحاول بها إعاقة الفرقة على الدخول إلى بيته تحت صرخات النساء و الأطفال . بينما كتف حمو الذي حاول تهريب نسائه ونساء العائلات اليهودية من الباب الخلفية . أخرج الجميع من البيت باستثناء السيدة العجوز التي رفضت الخروج وظلت تستم بأعلى صوتها الذين أزعجوها في خلوتها ولم تتوقف أبدا حتى عندما بدأت النيران تأكل البيوتات التجارية المبنية ضمن خط مستقيم . انقلبت شتائمها إلى صرخات ثم إلى شيء يشبه العواء ثم صمتت تحت صوت النيران التي أكلت كل شيء .بينما أخذ مردوخ وحمو وبقية الرجال باتجاه المدخل الغربي للمدينة حيث نصبت مشانق عديدة . أياديهم مكبلة وعيونهم مغمضة تمتم حمو وهو يشم رائحة الموت :

_ سنقتل يا مردوخ . ألا تحس بذلك ؟

_ وإذا أحسست ماذا بإمكاني أن أفعل ؟

_ لو استمعت إلي يا خويا ؟ رأسك خشن كالحجر الأصم . ما تسمع غير لروحك . ألم أقل لك يا مردوخ ؟ كان يجب أن نذهب مع أولادنا وراء الأمير .

_ عمرك سبعون وعمري أكثر قليلا ، ماذا بقي لنا ، لا شيء . الأمير لن يفرط في الأولاد ، أما أنا فقد تعبت من التنقل . في كل مرة نستقر فيها يأتي من يخرجنا من أرضنا . أجدادي وأجدادك جاؤوا إلى هذه الأرض هربا من محاكم التفتيش المقدس ، فأين نذهب ؟ كل الدروب صارت مغلقة وأرض الله ضاقت حتى صارت كفردة حذاء . يبدو أن نهايتنا هي هذه ولنقبل بهذا المصير . الموت في الجماعة لا يخيف .

وُضعت الحبال في أ'ناقهم مثل الخرفان . لم يقاوموا . مدوا أعناقهم ورؤوسهم التي ابيضت بفعل الشيب والثلوج التي عادت إلى السقوط بقوة ، باستسلام كبير وعيون منطفئة ، ركزت قليلا نحو الهضبة العالية التي سلكها الأمير وأبناؤهم الذين ودعوهم بعيونهم قبل أت تنكسر على ظلام حاد وصرخات كانت تأتي من بعيد .

في اليوم الموالي من شهر البرد والريح والثلج ، غادرت الفيالق العسكرية المدينة بنفس النظام الذي دخلت به بعد أن جعلت المدينة مرتعا للكواسر والغربان والذئاب متوجهة نحوالمسالك المؤدية إلى وهران عن طريق مستغانم هذه المرة .

_ دخلنا المدينة وخرجنا منها بدون أن نخسر رجلا واحدا . قال الجنرال كلوزيل ، هناك حروب سهلة وأخرى معقدة ولكن هذه تبدو بدون طعم . صامتة .

_ وماذا كان يجب أن نفعل يا سيدي ؟

_ أن نجد على الأقل من يعطينا مبرر هذه الحرب.

_ والكلاب واليهود والعرب الذين شنقناهم ؟

_ ر أدري ولكني لا أشعر بطعم إلا بطعم الرماد الذي خلفه الأمير وراءه . لا أكثر .

كانت الأرجل الكثيوة تغوص في عمق الثلوج بسهولة وتخرج منها بعد مجهود كبير . حتى الخيل وجدت صعوبة كبيرة في إيجاد المسالك الأقل تعبا لها ، الكثير منها سقط على ركبتيه ولم يقف أبدا ، فترك هناك في مكانه بعد أن أطلقت عليه رصاصة الرحمة كما أمر شونقارنييه ، عادة تعلمها من أحد القادة الذين تخرج عليهم .

كان سهل اغريس كعادته في مثل هذا الفصل قد لبس بساطا ناصعا من الثلوج البيضاء الصافية. بساط خادع إذا يتجاوز في الكثير من الأماكن المتر ويُسِطّح كل العلامات ويضيع الطرقات والمسالك . كلما هبت رياح خفيفة ، سحبت وراءها نثار الثلج الذي لا يتوقف أبدا فيغطي سماء المدينة ببياض خفيف يسد كل الطرقات ويعميها . مما صعب كثيرا الحركة . الآلات

الجديدة التي جلبتها السفن الحربية الفرنسية وجرها وراءه كلوزيل ، عقدت من حركة المشاة والمدفعية ، فقد وجدت هذه الأخيرة صعوبة كبيرة في إيجاد المسلك المؤدي إلى الطريق الغربي .

كانت أعواد المشانق التي نصبت وعلقت عليها أجساد العرب الباقين واليهود تبدو من بعيد وهي تتدلى كالعناقيد الجافة ، تحيط بها الكلاب الصفراء التي خرجت فجأة من مخابئها على الرغم من البرد والجوع والمطر ، تنظر لها باشتهاء بينما الكواسر تقتحم الأدخنة العالية ، تخترقها بعنف لتحوم دفعات دفعات على رؤوس الأجساد المتآكلة الأطراف والتي بدأت تتصلب وتتجمد من قوة البرد حتى أن النقرات الأولى لم تأت بأي شيء إذ أنها ارتفعت عاليا بمناقير فارغة ، فاستعدت لمعادة الكرة أمام كلاب زاد عددها وذئاب تنظر من وراء الأشجار والحيطان المهدمة إلى المشهد الذي بدأ جمهوره يزداد عددا وكثافة وتنوعا .